

مآلات الفراغ التنظيمي بالمغرب على مهنة ومهمة الأخصائي النفسي
(دراسة مقارنة بين مهام الأخصائي النفسي والمستشار النفسي)

**The consequences of the lack of ethics code principles and standards in Morocco on the job
and tasks of a clinical psychologist (A comparative study of the tasks of a clinical
psychologist and Coach)**

إعداد الدكتور/ التومي محمد

دكتوراه في علم النفس المرضي والإكلينيكي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني، المملكة المغربية

Email: etoumi.flsh@gmail.com

ملخص البحث:

تناقلت عدد من العيادات المستشارين النفسانيين أو ما يشار عادة بالكوتش، وهذا الانتشار والتواجد، خلق لبسا عند العامة الناس في مهنة ومهمة وحدود تدخل المستشار النفسي (الكوتش). والذي غالبا ما لا يستطيع الفرد العادي التمييز بين اختصاصات ومؤهلات وكفاءات وحدود تدخل هذا الأخير، ومهام واختصاص كل من الأخصائي النفسي من جهة ومهام واختصاص أخصائي الأمراض النفسية والعقلية، ومن هنا تكمن أهمية هذا المقال، من أنه يحاول تسليط الضوء، وتبيان الفروق والوقوف عن الخصائص والمؤهلات العلمية والتكوينية عند كل من الأخصائي النفسي في مقابل المستشار النفسي، وقد تم اعتماد منهج الدراسة المقارنة بين الأخصائي النفسي بتعدد تكويناته واعتمادا على الدليل الأخلاقي المؤطر لعمله، والإطار القانوني والتمثيلي لغير من الأسس والنظم المتعارف عليها دوليا، في مقابل الالتباس الشامل في كلما ما يتعلق بالإطار التكويني والقانوني والتنظيمي وكذلك الأخلاقي والتأطيري لعمل المستشار النفسي، حاول هذا المقال الوقوف على المرجعيات النظرية والفلسفية والتنظيمية لعمل الأخصائي النفسي في مقابل تواجد إطار مرجعي مقاولاتي لا يخضع لتأطير أكاديمي أو قانوني واضح المعالم، لذلك يسعى هذا المقال للدفع برسم الحدود البيئية والواضحة بين مهام وادوار وحدود تدخل كل من الأخصائي النفسي وكذلك المستشار النفسي، لغاية تحديد المسؤوليات والنتائج المترتبة عنه. وكذلك رغبة في تطور وإشعاع كل تخصص على حدة.

الكلمات المفتاحية: الفراغ التنظيمي، المرجعيات الأخلاقية، البعد التكويني، الإطار المرجعي. الإطار القانوني.

The consequences of the lack of ethics code principles and standards in Morocco on the job and tasks of a clinical psychologist (A comparative study of the tasks of a clinical psychologist and Coach)

Abstract:

The massive emergence of cabinets of consultants called coaches in Morocco, created ambiguities among ordinary people about the job and the tasks of a coach. The ordinary individuals do not usually distinguish the specialty, competence and the limits of the coach from the job and the field of intervention of a clinical psychologist. The importance of this article comes from the fact that it aims to highlight the differences between the scientific qualifications of a clinical psychologist and of a Coach. Thus, a comparative study was adopted to compare a clinical psychologist regarding to his diverse trainings and based on ethical guidelines of his job, and relating the international guidelines and standards in one hand, and the huge ambiguity connected to the trainings of a Coach and the guidelines and laws organizing his job in the other hand. The current article pointed the theoretical, philosophical and organizational guidelines of clinical psychologist in front of a counterpart unclear, non academic and illegal business guideline. Therefore, this article aims to designate the limits between the job and intervention roles of a clinical psychologist as well as the limits of the job of a coach in order to make their responsibilities and outcomes unambiguous.

Keywords: organizational vacuum, ethical references, formative dimension, frame of reference. The legal framework.

1. مقدمة:

إن الحديث عن الصعوبات والإكراهات والتشوّهات التي أصابت صورة ومهنة الأخصائي النفسي بالمغرب، تتطلب منها نحن الممارسون. القيام بوقفة تأملية وتشخيصية لما خلفه غياب التأطير القانوني على هذه التخصص..

هذا الموضوع ذو أهمية قصوى وذلك لاعتبارات متعددة، فبالإضافة إلى الفوضى المجتمعية وعدم قدرة هذا المجتمع على الفصل والتمييز بين شركاء الصحة النفسية عموماً، والتي هي نظري، يشترك فيها كل من طبيب الأمراض النفسية والعقلية والأخصائي النفسي بكل تخصصاته وتكويناته، بالإضافة إلى المساعد الاجتماعي. ناهيك عن طبيعة التكوينات المختلفة من جهة والمتكاملة من جهة أخرى. وما ينسجم أو يتضارب مع الدليل الأخلاقي لهؤلاء الشركاء الأصليين. نجد أنفسنا أمام قادم جديدة، نمتى، وترعرع، وتعزز، واستقوى بفعل عدم الميز بين التخصصات السابق ذكرها. ليجد له مكاناً في مجتمع يصعب على مواطنيه، حتى القدرة على التمييز بين طبيب الأمراض النفسية والعقلية والأخصائي النفسي والمساعد الاجتماعي لينضاف لهذه المجموعة والتي غالبية المغاربة لا يستطيعون التمييز بين اختصاصاتها وتكويناتها ودلائلها الأخلاقية وما يترتب عليه ذلك. من إمكانية تجاوز الخطوط الحمراء سواء. بقصد أو بدون قصد. لذلك نعرض في هذا البحث بعض هذه الصعوبات سواء على المستوى القانوني والمهني والاجتماعي وما يترتب على ذلك من تبعات نفسية واجتماعية وقانونية سواء على الممارس أو الفرد. وفي ظل غياب أي تأطير تشريعي أو تكويني معترف به داخل الجامعات المغربية ينبعث كائن جديد سمي نفسه (المستشار النفسي).

أهداف البحث:

- توضيح مآلات الفراغ التنظيمي على مهنة والأخصائي النفسي من تقزيم مجتمعي، نتيجة لترامي المستشار النفسي عليها مستغلاً غياب إطار قانوني يفصل بين مهام وتدخلات الأخصائي النفسي ومع مهام المستشار النفسي.
- الضرر الاحق بمهنة ومهمة الأخصائي النفسي وأخصائي الأمراض النفسية العقلية نتيجة الخلط بين التخصصات ومهنة الكوتش.
- التمثل المجتمعي السلبي على الأخصائي النفسي وأخصائي الأمراض النفسية والعقلية نتيجة الجهل المجتمعي واستغلال هذا الجهل من طرف المستشار النفسي مما يؤدي نفور مجتمعي من الخدمات النفسية.

أهمية البحث:

ضرورة وضع حدود التدخل واضحة المعالم بين التخصصات النفسية في احترام لمكونات كل تخصص على حدة.

منهج البحث:

دراسة استقرائية وصفية مقارنة.

1- قادم الجديد بتقنيات مهربية.

حسب ما وصلت إليه من تعاريف حول هذا القادم الجديد، والمعروف عادة بالمستشار النفسي أو ما اصطلح عليه ب (الكوتش). في بعض هذه التعاريف اخذ بصفة المواكب، أي من المواكبة، ونعرف أن هذه الصفة هي تدخل في التعاريف الخاصة بالأخصائي النفسي الإكلينيكي، بالإضافة إلى كل من التشخيص والتوجيه والتنبيه. وقد عرفت مهمة هذا القادم الجديد، العمل على تحسين الكفاءات والقدرات الفرد أو الجماعة، من خلال تجديد وتعديل معارف الفرد والجماعة. وبذلك أجد مرة أخرى أن هذا القادم الجديد أي (المستشار النفسي) يعتمد على المعارف النفسية دون التصريح بذلك علنا، ودون الحصول على تكوين بين فيها، ففي أبعديات عمله، بالإضافة إلى ما سبق ذكره، أن المستشار النفسي، يساعد الفرد والجماعة على تلقيهم أدوات وتقنيات الضبط والتحكم في السلوكيات والانفعالات الغير اجتماعية. فإذا سلمنا جدلا بهذه المهمة ماذا بقي للأخصائي النفسي؟ هذا القادم الجديد يدعي أن مهمة ترمي إلى تعديل السلوك الفرد والجماعة، فهو إذا يقوم بذلك، دون أن يكون ملما بخصائص السلوك، والأداة السحرية لذلك هو التشجيع والتحفيز. في تحدي الصعوبات.

المستشار النفسي هي مهنة تركز على الحوار مع الزبون. نعم إنه يرى الفرد الذي مجرد زبون يحتاج لسلعة تتمثل في التشجيع والتحفيز. بالمحصلة فهي مقالة ربحية. وهي بذلك تبقى وفيه لمؤسس هذا الفكر (توني روبينز) رجل الأعمال. (1) إذا المستشار لا ينظر للفرد ككائن بشري وإنساني بل يعمل على دفع هذا الأخير، إلى إعادة تدوير أفكاره وتنقيتها وتصفيته، (وهي نظرية البناء وهدم الأفكار المستوحاة من علم النفس المعرفي) للخروج بحلول و- تمثلات ايجابية. يبدو من هذا التعريف الأخير الوجه الآخر لمهنة المستشار النفسي، وحيث ينظر للفرد الذي أمامه باعتباره زبونا وهذا ليس إلا، أحيان بعين الاعتبار المنطلقات الأولى لهذا التوجه وهي المقولة، ومادامت الفكرة الأساسية هي الربح، فلن يكون غريبا. أن يوظف نتائج وبحوث التيارات النفسية في هدم أفكار وبناء أفكار جديدة مع إنكار ذلك علنا. مع ذلك تعتبر بعض هذه التعاريف، أن المستشار النفسي، لا يزال يعاني من غياب إطار تشريعي، حيث يغيب على حد علمي، المسار والوصف التكويني

1- قراءات في كتب توني روبينز (2000) أيقظ قواك الخفية. السعودية، إصدارات مكتبة جرير.

والداللي والوظيفي مما يجعل هذا الإطار موضع الكثير من التذليل والنصب.

2- رحلة البحث عن مهنة... من مدرب ومنشط لقاء إلى مستشار نفسي.

هو ببساطة "مدرب" ولنقل بعد انه منشط لاغير، وتنتشر الكلمة باللفظ الإنجليزي مكتوبا بالأحرف العربية لسبب واحد، وهو أن "التدريب" كلمة تتضمن الصعوبة والإرهاق، وتشعرك أننا نتحدث عن مدرب كرة قدم. في الحقيقة، يمكن القول إن هذا النطاق بدأ بالأساس من ملاعب الكرة، والرياضة بأنواعها، فبجانب دور المدرب الرئيسي في وضع الخطط وتوقع تكتيكات الخصم وتوطين كل لاعب في أفضل مكان له، يحضر عامل التحفيز، حيث يقوم بتحفيز اللاعبين، ودفعهم إلى المثابرة، وبذل الجهد، سواء بشكل فردي أو جماعي، وتواصله معهم بشكل شخصي، وتزويدهم بروح الفريق، من أجل بذل أكبر جهد ممكن أثناء اللعب.

أما الآن، فإن هذا الاصطلاح يعني الكثير من الأشياء، فالمستشار النفسي تخطى مرحلة التدريب، لأن هذا المصطلح لا يساير التمدد الذي عرفه، خاصة مع قدر التنوع الذي يدخل إلى هذا النطاق، فهذا النوع من التدريب خرج من قطاع ضيق وأصبح يتمدد في مجالات أخرى سواء المتعلقة بالتسويق والموارد البشرية وصولاً إلى تدريب الطلبة والأزواج والمحبين والأطفال والمراهقين. من خلال توظيف مفاهيم رنانة تشناق لسماعها الهمم الضعيفة والباحثة عن التقدير الاجتماعي، من قبيل البحث عن وظيفة، القيادة الفعالة، الطاقة الإيجابية بل سمعنا حتى مستشار نفسي للحصول على القوام الرشيق. وبالتالي كانت الحاجة ماسة للبحث على مصطلح جديد يسمح له التمدد في كل الميادين دونما الحاجة إلى ادني تكوين علمي رصين.

هنا تظهر الأساليب الخداعة والمحفزة على الطلب على هذا الشكل من الاستشارة قد لا أجنب الصواب إن قلت إنها مهنة بيع الوهم. لذلك قد نجد الكثير ممن يعانون اضطراب نفسياً قد يرغب في الاستفادة من هذا المستشار. وهي فئة لن تتردد في دفع كل غالي ونفيس، شريطة أن تعيش الوهم والأمل في تحقيقه، **والحقيقة** التي يعرفها أهل الاختصاص، أن كل فرد قادر على تحفيز نفسه من خلال تحديد الهدف والتشبع بالإنجازات، وهذا ما يمكننا تأكيده من خلال الدراسة الطولية التالية:

قام فريق من جامعة إيلنوي للبحث في اثر الإنتظارات الفرد على مستقبله، ونقصد هنا مجموعة من العادات التي يمكن لشخص ما أن يواظب عليها الفرد لتحقيق أهدافه المستقبلية في هذه الحالة (في مستقبل الطلبة نموذجاً).

وكان الفريق قد حلل نتائج هذه الإنتظارات قامت بها المعاهد الأميركية للبحوث في العام 1960 لعينة مكونة من 370 ألف طالب أميركي في المرحلة الثانوية،

بجانب ذلك حددت أيضاً مجموعة السمات أخرى تساهم في تحقيق هذه الإنتظارات، من قبيل المواظبة على أداء الواجبات المدرسية، الحضور والمشاركة، الضبط، الحفظ، بالمجمل مدى توفر أدوات تحقيق الإنتظارات المستقبلية بما في ذلك **الالتزام والمسؤولية والجدية والمتابعة للحصص الدراسية والسلوك المسؤول تجاه تلك المهام في العموم**، خلال أعوام متتالية من تلك الاختبارات الأولية خضعت تلك العينة لاختبارات إضافية من أجل المتابعة. لذلك يكون من أجل تحقيق الإنتظارات المستقبلية، مرهون بتوفر آلياته الإجرائية والتي حتماً يمكنها القيام بالأثر الدال والصريح في مستقبل الفرد، ونجاحه المجتمعي والمهني. أما القول بأن التحفيز من الآخر له الأثر المحدد في مستقبل الفرد فهذا أمر مردود على قائله.

والدليل على ذلك نتائج هذه الدراسة فبعد 50 سنة، في العام 2018 تم التواصل مع العينة السابقة، استجاب منها 1952 شخصاً، ثم فحص فريق البحث مستوياتهم المادية والاجتماعية والمهنية خلال تلك الفترة، كيف تطورت؟ وما الذي وصلوا إليه في جوانب حياتهم المختلفة؟ هنا جاءت النتائج لتقول إن هؤلاء الذين أظهروا سلوكاً مسؤولاً في مراحل المراهقة، وكانوا أكثر التزاماً في حياتهم الدراسية، كانوا كذلك أعلى أجراً مستقبلاً، وامتلكوا مستويات مهنية عالية مقارنة برفاقهم، كانت تلك النتائج واضحة حتى حينما قام فريق العمل بتنحية عوامل أخرى مثل الذكاء، وباقي القدرات الإدراكية، والخلفية الاجتماعية والاقتصادية. وهذا يعيدنا لما استنتجناه سلفاً، أن انتظارنا التحفيز من الآخر ليس محددًا، بقدر ما تلك الاستعدادات النفسية والقدرات الإجرائية من حيث الالتزام والإصرار، من قبيل تحمل المشاق وتدبير الأزمات،

للولوصول للغايات المرجوة والمسطرة سلفا والتي عبرت عنها بالإننتظارات والتي لا تتم إلا بتوفر شروط موضوعية وكذلك إجرائية، حيث تتكامل الشروط والاستعدادات النفسية في تحقيق الإنتظارات والتي قد نجملها فيما يلي:

- التقييم والتعرف الموضوعي بين القدرات الشخصية والأهداف المسطرة،
- النقد الذاتي الموضوعي في تحديد الغايات وتوفير وسائل تدبير الصعوبات
- توفر سمات الشخصية من قبيل الإرادة والإصرار والتحمل لتحقيق الغايات،
- تنظيم الوقت، واحترامه، والتواصل البناء والشفاف،
- حسن تدبير الأزمات وتقدير الذات، في علاقتها بالجماعة أو المجتمع.
- أخلاقيات العمل والأسرة، والانتماء والمسؤولية تجاه المجتمع، إلخ.

3- المصطلحات الرنانة والمحفزة عند المستشار النفسي

1- مصطلح التنمية الذاتية

يعتبر هذا المفهوم مفهوما جوهريا في ثقافة المستشار النفسي وهو المفهوم يعني التحفيز، الأمل، التحدي، الصبر، والإصرار. ولأجل ذلك يتم الاستعانة بعدة كتب من قبيل فن الأمبالاة، أو كتاب 40 اللامبالاة" أو "40 قاعدة للقوة" أو "العادات السبع لأكثر الناس فاعلية" غيرها كثير. والطامة الكبرى ان هذه الكتب تعتبر عند المستشار النفسي هي الخلفية التحفيزية لتأثير في الزبون (عكس الأخصائي النفسي الذي يعتبر الفرد فردا متفردا) ودفعه للتماثل مع كذا أو كذا شخص. المشكلة الكبرى هو اعتبار هذه الأنواع من كتب وكأنها وصفات سحرية قابلة للتحقق. عند كل فرد. وهنا يتم تغييب حقيقة نفسية قوية وهي أن كل فرد محكوم بتاريخ فردي ومتفرد له وعليه ترسبات نفسية يصعب تجاوزها وتخطيها. ناهيك عن استعدادات نفسية قد تكون لها عظيم الأثر في نفسية الفرد الحالية والمستقبلية. وما يتبعها من كفاءات وقدرات وميولات واتجاهات.

الخطأ الجسيم الذي يتم ارتكابه من طرف المستشار النفسي هو وضع قوالب لشخصيات قابلة للنسخ السريع، وهذا في نظري أكبر افتراء على الفرد والإنسانية. وكأن الفرد بكل ماضيه ومراميه وأحلامه مستعد لفسخ هوية، وارتداء أخرى بكل بساطة وسهولة. في حين نجد الأخصائي النفسي (2)، مطالب باحترام الدليل الأخلاقي في كل صيغته وبصيغته الأولى:

” احترام الفرد في بعده النفسي هو حق غير قابل للتصرف والاعتراف بهذا الحق هو أساس عمل كل عالم النفس ”

دعنا الآن نبدأ بتوضيح مشكلات رئيسية تتعلق بهذا النطاق الذي يُسمى بـ "المستشار النفسي"

1- التغني بالكتب السابق ذكرها:

وكأنها كتب منزلة أو بدرجة أقل، كأنها آيات قرآنية ثابتة، فتصبح أكثر من فكرة جيدة يثيرها أحدهم في حوار ممتع. مما يدفع بالكثيرين للإصابة بالصدمة إذا ما فشل في تحقيق غاياته وانتظاراته. وبالتالي، فالتعلق المبالغ فيه بتلك الأحلام قد تصدم بواقع تتحكم فيه الكثير من العوامل الغير متحكم فيها والغير واضحة المعالم.

2- Association des Psychologues au France (9 Semptembre 2021)

Code de déontologie des psychologues. France.

فكرة جيدة يثيرها أحدهم في حوار ممتع. مما يدفع بالكثيرين للإصابة بالصدمة إذا ما فشل في تحقيق غاياته وانتظاراته. وبالتالي، فالتعلق المبالغ فيه بتلك الأحلام قد تصدم بواقع تتحكم فيه الكثير من العوامل الغير متحكم فيها والغير واضحة المعالم. لذلك يكون المستشار أقل ذكاء وحيطة، من الأخصائي النفسي والذي يتقن لغة الفرضيات والاحتمالات والنسب المؤوية، فهو مهياً لوضع حلول لأي مزالق القادمة وتوفير ممرات آمنة يمكن بلورتها والتحكم في مآلاتها. (3)

3- الامتدادات التي عرفها مجال الإستشارة النفسية

تجارة الوهم، ليس ذلك فقط، بل تصبح " دساتير " وينتج عنها تجارة مربحة، بالإضافة إلى ابتداء تمارين، وورشات عمل، وجلسات علاجية، وإقامة لمدة ثلاثة أيام، وتكوينات وهمية، ويضاف إليه كمّ غزير من الدبلومات والماجستيرات دون دبلومات وبالإضافة إلى ابتداء قياسات نفسية للمستشارين، في غياب أية رقابة وأية متابعة. دون توفر أي مصادقة عليها من لدن لجان مختصة، بالإضافة إلى قيام أناس غير متخصصين في علم النفس، بتكوينات على تقنيات تقتضي سنوات طوال، تنحصر في ثلاثة أيام، والأدهى من ذلك الأمر، إعطاء دبلومات على تلك التكوينات لتعم الكارثة، ويسقط الفشل وألا كفاءة على القطاع برمته. لذلك أعود واعتبر أن الفراغ القانوني والتنظيمي هو المسبب لهذه الميوعة والسماجة المعرفية في المعارف النفسية. لنجد أشخاص من تكوينات غريبة على علم النفس يقومون بتكوينات عميقة في علم النفس.

لذلك من جهة أولى، اعتبر المستشار النفسي هو فقط منشط لقاء، دون انتظار آثار سلوكية أو اجتماعية، ممتدة عبر الزمن، أما تعديل السلوك، فهذا أمر مستبعد، بدون أي قاعدة عملية أو علمية، وهو غير متخصص في نطاق بعينه ولكنه فقط "ينشط الناس"، أما المؤهلات التي تسمح لشخص ما من أجل تعديل السلوك بأن تكون حياتهم في العموم

3-Marc –Antoine et Autre (2012-2013) DSM-5 Manuel et statistique des Troubles Mentaux
(éd 5);France. ELSEVIER MASSON

أفضل؟ لا نعرف في الحقيقة، يمكن لمختص في علم النفس أن يعطينا إجابة صلبة على هذا السؤال، وهناك بالفعل نتائج رصينة في هذا النطاق البحثي، لكن هؤلاء ليسوا حتى متخصصين في علم نفس، أما إن كانوا كذلك، فهم منتهى الروعة والفائدة وبالها من حصيلة ثمينة.

4- ازدواجية الشخصية والقطبية والتدليس.

5- المشكلة الثانية هي أن هذا التنشيط هو من أجل التنشيط يفتح الباب -بشكل يمكن أن نقول إنه حتمي ولن نخسر الكثير- أمام كل العلوم المعروفة للدخول إلى أرض الملعب وفرض نفسها أمام المتدربين كقوانين "علمية" بالصورة نفسها التي تضعها الكتب التي تحدثنا عنها قبل قليل، لفهم ذلك لن نحتاج إلى أن نذهب بعيدا، لن تحدث عن أشهر رجال "الاستشارة النفسية" على مستوى العالم كله، إنه توني روبنز، "المستشار النفسي" الكبير الذي يصل ثمن تذكرة تدريبه السنوي إلى 500 دولار لليوم الواحد مع وعد باجتياز التجربة الأكثر غرابة في حياتك، وهي السير على الفحم المشتعل حتى ألف درجة مئوية بينما تملأ دماغك بأفكار إيجابية، لكن ما نعرفه هو أن الأمر لا علاقة له بالأفكار الإيجابية، ما نعرفه هو أن الفحم، ببساطة، موصل ضعيف للحرارة. لن طرح السؤال التالي ماذا لو علم المتدربين بهذه الخدعة؟:

6- توظيف المعارف النفسية والتبرؤ من التبعات الجنائية.

يعرف "المستشار النفسي" يعرف نفسه على أنه ليس معالجا نفسيا ولا مستشار عمل، وهو بذلك ينحى عن نفسه أي مسؤولية علمية أو طبية أو حتى وظيفية. في تلك النقطة دعنا نتأمل معا أحد الادعاءات الشهيرة لهذا النوع من التنشيط، فغالبا ما يعرف المستشار نفسه على أنه ليس معالجا نفسيا ولا مستشار عمل، بمعنى أنه لا يعالج أمراضا ولا يتدخل بأي تقنيات علاجية، ألا انه يوظف (العلاج المعرفي السلوكي) (4) على سبيل المثال، من أجل التعامل مع الاكتئاب أو الاضطراب

4- Jacques Fradine (2004). Lathérapie neurocognitive et comportemental ;Belgique.de.boeck

ثنائي القطب مثلا، كذلك فهو لا يقدم نصائح وظيفية يحدد من خلالها اختياراتك القادمة في العمل، وهو بذلك ينحى عن نفسه عن أي مسؤولية علمية أو طبية أو حتى وظيفية. وعلى الرغم من هذا التصريح الكبير والواضح، نجده أي المستشار يسميها بالآليات والتقنيات الناجمة من قبيل "البرمجة اللغوية العصبية" (5)، وعلوم الطاقة والتأمل وقانون الجذب، وهي أمور يكتب فيها روبنز ورفاقه من المدربين مثل بوب بروكتور وغيرهم بشكل دائم ومستمر ويدربون الناس عليها على أنها الشيء الوحيد الذي يمكن له أن يغير حياتهم، وحتى حينما لا يكون المدرب مهتما بالأساس أن يعمل على تعريف الناس بتلك العلوم والمعارف، فإنه لا شك يستخدم بعضا من تقنياتها أثناء التدريب، وما نعرفه ويعرفه الخاص والعام وبكل حيادية ووضوح وأمانة علمية، لا توجد أي دلائل علمية ثباتها صدقها ومباركتها من طرف احد المراكز والمنظمات ذات الصلة. وهنا أسوق كتاب "البرمجة اللغوية العصبية"،

المتعارف عليه هو فيل الخروج بأي مقياس، لا بد من عينة عشوائية كبيرة، لا بد من القيام بالتجربة ونقيض التجربة في عدد من البلدان المختلفة، ولا بد من مصادقة المنظمة العالمية للصحة عليه، كذلك الحال بالنسبة لعلم النفس ووضع المقاييس ليس بالسهل يتطلب الأمر سنوات وسنوات حتى يتم التأكد من قدرته قياس ما وضع لأجله. وحتى ذلك لا يخفي الجهر بعيوبه ومحاوله تحديدها في نسبة معينة. وما الى ذلك من شروط التطبيق، حدود التطبيق، مجالات التطبيق، فئات التطبيق. بل جميع العاملين في مجالات علم النفس يعملون بعدد تكوينه النظري على التكوين على توظيف مقاييس متعددة كل منهم يستنزف من الممارس العمر والمال. إذا كان الوضع كذلك يطرح السؤال ما الضمانات التي يقدمها المستشارون النفسيون. (لزنباهم)؟

5- laure Monneret (25-10-2019) PNL. France édition ellipses-

في المقابل من ذلك، لا يحتاج "المستشار النفسي" أيًا من تلك المعارف الكثيرة والمعقدة بل تكفيه ورقة واحدة، غير مؤكدة ليقال، إن تمرينا ما سوف يعالج الاكتئاب الذي عانيت منه على مدى سنوات ثلاث، وحيث الأخصائي النفسي يتسلح بالشك والحذر والاحتمالية وتوظيف عدة معارف ومراجعة الدلائل الإحصائية والتشخيصية. نجد المستشار النفسي يمتلك الحل والتشخيص والعلاج هنا يجب التوقف قليلا لتأكيد أن التأمل -على سبيل المثال- أمر مفيد، يثبت العلم ذلك كل يوم بشكل أكبر، لكن مشكلتنا مع التحويل المباشر من قراءة إحصائية سريعة ما ظهرت في ورقة ما -بدون أي رقابة أو تجريب حقيقي على مرضى أو حتى سماح قانوني- إلى جرعات علاجية تتخصص في حالة مرضية ما. دون تخصص ولا علم ولا خبرة.

6- الآثار السلبية للتدخل الغير مقنن لمستشار النفسي في الخدمات النفسية

من الأشياء التي يجب التصريح بها والمجاهرة بها، أن المستشار النفسي يتقصد صفة الأخصائي النفسي والعقلي والأخصائي النفسي. فإذا كان الدليل الأخلاقي للأخصائي النفسي يلزم هذا الأخير التقييد باختصاصه وفي حدود اختصاصه، مع القدرة على التكامل مع الاختصاصات النفسية الأخرى دون التطاول عليها والتحدث باسمها والقيام بتكوينات فيها. فإن المستشار النفسي يضع نفسه في متاهة لا نهاية لها. فهو من جهة ينفي عن نفسه صفة الطبيب النفسي والعقلي، أو صفة الأخصائي النفسي، ولكنه من باب آخر يوظف تقنياتهم واختباراتهم وتشخيصاتهم. دون الأخذ بالاعتبار أن هذا التطفل الغير مبرر مضر بسمعة شركاء الصحة النفسية. مما يؤدي إلى تمييع، وتقزيم هذه التخصصات الدقيقة، ووصف ممارسيها بالا كفاءة وآلا فعالية، وآلا حاجة للمجتمع بها، نظرا لمصالح ضيقة لا تصل لمرحلة تغليب مصلحة الأمة. المستشار النفسي على علم ودراية انه يتطفل تخصصات قائمة من بينها، علم النفس والطب النفسي، ولكن الفراغ القانوني هو المسؤول على ذلك. فعند الحديث عن "السواء؟"، و"عن العلاقات الفعالة؟"، بل ويصل الأمر إلى «كيف تربي أطفالك المراهقين؟» لا بد من القيام بتشخيص لا بد من القيام بمواكبة وتوجيه، ألا يحتاج ذلك إلى متخصص؟ أليس هذا هو مجال علم النفس إذا كان كذلك. فماذا بقي للمستشار النفسي؟

التحفيز جيد، لكن في النهاية يجب أن يتوافق تفأؤنا مع درجة تعقّد العالم، وإلا سنواجه صدمة عنيفة حينما لا نتمكّن بسهولة من تحقيق أيّ من تلك الأحلام المفرطة في التفاؤل، حينما يكون المستشار غير متخصص في نطاق علم النفس، سيكون الناتج بالضرورة، هو أن تتسرب معارف ضعيفة إلى نطاق عمله، لكن الأسوأ هو أن ذلك يتشابك مع المشكلة الثالثة، التي تواجه المستشار النفسي وهي لغة التحفيز، فلا بد أنه سيعتمد على الترويج لأفكار تتميز بأنها ملهمة وأنها قادرة على جعل حياتك أفضل، بالتأكيد لن يتقدّم ليشرح لك أيًا من الأمور المتعلقة بعلم نفس أو البراديكمات الكبرى في علم النفس. بل سيعتمد المستشار النفسي إلى تعويم المعلومة في مساق هوامي وهو الحديث عن الصبر والمثابرة والإصرار والإيثان بالقوة. وضرورة التقييد بها والسير على خطاها. بمعنى آخر ينتزع المستشار النفسي عباءة أخرى بالإضافة إلى ما سبق وهي عباءة المفتي.

لذلك عند المستشار النفسي تغيب المعلومة وتبقى الرغبة في تحقيق عالم هومي غالبا ما تفتقد الشخصية الحاضرة لكل السمات الضرورية لتحقيقها فعلا وعملًا في حين خطاب ولغة الأخصائي النفسي تتبع أسلوبا جمع المعلومات والتأكد من المعلومات واختبار والتحقق من المعلومات تم التشخيص الأولي إلى غير ذلك من المراحل التي تتطلب الكثير من الجهد والوقت والتريث في إصدارا لنتائج. غالبا لا تسعى إلا في إرضاء (الزبون). بل غايتها تقديم تشخيص صادق وملتزم بكل الظروف العلمية والموضوعية.

لذلك يؤثر المستشار النفسي التخلي عن الدقة وعن الموضوعية ويسيح في عالم من الإيجابية الضارة والفجة قد يكون من الجيد، التحفيز ولكن في النهاية يجب أن يتوافق تفاؤنا مع درجة تعقد العالم، وإلا سنواجه صدمة عنيفة حينما لا نتمكن بسهولة من تحقيق أيٍّ من تلك الأحلام المفرطة في التفاؤل. بمعنى أوضح، قد تتصور للوهلة الأولى أن التحفيز يدفعك للفعل والإنجاز، لكن هل يفعل ذلك؟ في الكثير من الأحيان يدفعك التحفيز لتصور خاطئ عن قدراتك، مع تصور خاطئ آخر عن درجة "صعوبة" الموقف، الوضعية والمسار المستقبلي، فنظن أن كل شيء ممكن، ما قد يصدك في كل مواجهة مباشرة مع هذا الواقع، وتحدث هنا عن المدة في الشحن الهومي، بعد ذلك سوف تبدأ في الشعور بما يشبه أعراض الانسحاب، الضعف والعزلة، لتخرج بنتيجة مؤداها، أنك بحاجة إلى جلسة جديدة أو شحن للوقوف مرة أخرى، شحن جديد لتحفيزك، في تلك النقطة يتحول التحفيز إلى مخدر، فيصبح كل ما تفعله هو أن تخرج من جلسة تحفيزية إلى جلسة تحفيزية أخرى. إنه إيمان على التحفيز وانسحاب من الواقع، ودخول في عالم الهومات ولما لا الهذيان - لنصل في الأخير إلى مرحلة مل يسميه علماء النفس بالذهان اللحظي(6).

6- علم النفس المرضي والإكلينيكي D. H. Barlow et autre Boeck 2007

7- الخاتمة:

في هذه الدراسة تناول الباحث الخلط القائم بين مهنة ومهمة الأخصائي النفسي وما يرتبط بذلك من تكوين أكاديمي واضح المعالم والمراحل، وكذا شروط الممارسة وحدودها، وكذا المسؤوليات الجنائية والتأديبية عند ارتكاب مخالفة مهنية، في مقابل ذلك نجد ما سمي بالمستشار النفسي أو الكوتش يمارس نفس مهام ومهنة الأخصائي النفسي مع نكران ذلك، مما أدى إلى نفور الأفراد الراغبين في الخدمات النفسية واعتبارهم كل من أخصائي الأمراض النفسية والعقلية والأخصائي النفسي والمساعد الاجتماعي مجرد محتالين وفاقدين لكل كفاءة مهمة لذلك.

نتائج البحث:

- المسار التكويني والأكاديمي لا يتشابه جملة وتفصيلا مع ممتهمي الاستشارة النفسية.
- الالتزامات الأخلاقية والمهنة عند الأخصائي النفسي، تغيب كلية عند المستشار النفسي
- التدخل الغير مقنن والغير مؤطر قانونا، أضر كثيرا بسمعة المتدخلين في الصحة النفسية وأدى إلى نفور الراغبين في الخدمة النفسية نظرا لغياب نتائج ملموسة.
- استعمال الآليات والتقنيات نفسية لغاية تحقيق توازن نفسي من لدن غير المؤهلين له عواقب وخيمة على نفسية الراغبين في الخدمات النفسية قد تصل إلى درجة الانتحار.

- إن غياب إطار قانوني مرجعي لممارسة الخدمة النفسية بالمغرب خصوصا بالنسبة للأخصائيين النفسيين أدى إلى فتح الباب للاتجار بمعانات الناس دون حسيب ولا رقيب.
- لذلك يكون من أولى الأولويات حماية الفئة الراغبة في الخدمات النفسية كحق من حقوق الإنسان من خلال وضع قانون تنظيمي لازم يحدد أوجه التدخل عند الممارسين المتدخلين، ومن جهة أخرى، ويضع أسس التعامل بينهم مما يحفظ المواطن من التلاعبات ويحفظ في الوقت نفسه كل المتدخلين في الخدمة النفسية بالمغرب.
- حتى وإن وجد قطاع جديد يعنى بالخدمة النفسية فأهلا وسهلا، على أساس ضرورة وضع إطار مرجعي وتكوين أكاديمي محدد مع توفر قانون تنظيمي للمهنة يبين مجال تدخله، وحدود تخصص والفئة المستهدفة.

المراجع:

أولاً: المراجع بالعربية:

1- قراءات في كتب توني روبينز (2000) أيقظ قواك الخفية. السعودية، إصدارات مكتبة جرير.

ثانياً: المراجع بالفرنسية:

- 2- Association des Psychologues au France (9 Semptembre2021) Code de déontologie des psychologues. France.
- 3-Marc –Antoine et Autre (2012-2013) DSM-5 Manuel et statistique des Troubles Mentaux (éd
- 4- France. ELSEVIER MASSON.
- 5- Jacque Fradine (2004). Lathérapie neurocognitive et comportemental ; Belgique.deboeck
- 6- laure Monneret (25-10-2019) PNL. France édition ellipses
- 7- David H. Barlow-V.Mark Durand (2007). Psychopathologie (2éd), Belgique.deboeck

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.35.14